مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 11 العدد: 03 السنة 2019 رقم العدد التسلسلي 20

تاريخ الإرسال: 2018/08/06 تاريخ القبول:2018/12/15

# اللغة العربية في الجزائر – قراءة سوسيولوجية

# Arabic language in Algeria- Sociological reading

د. عبد الجليل ساقني
المركز الجامعي تمنغست– الجزائر
djalilsocio@gmail.com

## ملخص البحث

يتم الحديث في هذه الورقة البحثية عن اللغة العربية في الجزائر تاريخ وواقع، بتحليل سوسيولوجي لماهية اللغة و مكانة العربية عندنا كأفراد و جماعات و مؤسسات، و بما أن اللغة تتطور فأين هي اللغة العربية من هذا التطور و ما سبب تراجع استعمال الفصحى محليا و دوليا و خصوصا عند الطبقة المثقفة، إن تسليط الضوء على هذه الظاهرة نعتبره أمر ضروري فنحن نتحدث عن إحدى ركائز و مقومات الشعب الجزائري بالإضافة إلى الدين و التاريخ كما يعود الفضل الكبير لهذه اللغة بنقل مجتمعنا من حال لحال تعددت و تنوعت أثناء ذلك ذاكرة و ثقافة و موروث الجزائريين.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة، اللغة العربية، الهوية، العولمة

**Abstract:**

We speak here about The Arabic language in Algeria is a history and reality, with a sociological analysis of the nature of the language and the status of Arabic as individuals, groups and institutions, and as the language evolves, where is the Arabic language from this development and what is the reason for the decline of the use of the classical locally and internationally, We are talking about one of the pillars and constituents of the Algerian people in addition to religion and history. The great credit of this language is also due to the transfer of our society from one state to another. The memory, culture and heritage of the Algerians varied during this period.



المنارة للاستشارات

**Keywords:** language, Arabic language, identity, globalization

**مدخل:**

تشكل اللغة العربية أساس هوية الجزائريين، فهي ليست مجرد رموز و أصوات لغوية نستعملها للتواصل بيننا إن لها قيمتها و أهميتها في قلب و ثقافة كل جزائري فهي لغة القرآن و هي اللغة التي تجمعنا كمواطنين لهم تاريخ و دين واحد، و في ظل العولمة الثقافية و في ظل التصادم اللغوي و الحضاري و تقنيات العصر التي تصدر إلى بلدان العالم بلغات شتى كان لابد من الحذر و الحديث عن ضرورة الاهتمام بحماية لغتنا العربية و السعي لتطويرها من خلال العمل ثم العمل، لأن التاريخ اثبت بأن اللغة لم تكن يوما عائقا أمام تعلم الأطفال أو بيع السلع أو تطور بلد على العموم فعادة ما كان يسند كل ذلك إلى نشاط الإنسان و عمله، فالدول التي تقدمت علينا بخطوة أو خطوات سارت على منهج إتقان العمل وسيلة لغد أفضل، و عندما نتحدث عن بلدنا فتاريخه يشهد بأن اللغات و اللهجات تعددت به و رغم ذلك كان لنا أثر و بصمة تاريخية من عهد ماسينيسا إلى الأمير عبد القادر إلى هواري بومدين، و عموما لا يمكن لنا كجزائريين أفراد و جماعات أو مؤسسات أن نتخلى عن لغتنا العربية لأي سبب من الأسباب فهي لغتنا الأم و هي ثقافتنا و ذاكرتنا الجمعية التي تربطنا بتاريخ عريق و مستقبل يبنى بالعلم و العمل، نتثاقف أثناء ذلك مع مجتمعات و ثقافات أخرى و هذا أمر حتمي من أجل أخذ العلم و التجربة و الاستفادة من كل ما يمكن له أن يفيد الجزائر، و في هذه الورقة البحثية سيتم الحديث عن اللغة العربية كظاهرة اجتماعية و كثقافة للمجتمع الجزائري، تاريخها وواقعها الحالي و نظرة إلى المستقبل .

**أولا_ اللغة ظاهرة اجتماعية:**

تصعب محاولة الفهم العلمي و الموضوعي اليوم لوضع اللغة العربية في الوطن العربي بدون منظور و رؤية علم الاجتماع الثقافي إلى ظاهرة اللغة، فمن ناحية أن اللغة عند علماء الاجتماع هي ظاهرة اجتماعية في الصميم أي أن اللغة لا يمكن أن توجد و تستمر في الحياة بدون وجود فردين على الأقل يعرفان و يتكلمان



المنارة للاستشارات

تلك اللغة، و من ناحية ثانية فيتعذر وجود حقيقي ذو معنى لمجموعات بشرية صغيرة او كبيرة بدون رباط لغوي ييسر التواصل و التفاعل الاجتماعي و التضامن المتماسك بين أفرادها و فئاتها المختلفة، و هكذا فاللغة المشتركة بين الأفراد و المجموعات و الفئات هي الأساس القوي للتبلور الفعلي للتقارب و الشعور الجماعي و الوحدة بينهم، و يصدق هذا كثيرا على مجتمعات الوطن العربي منذ أن أصبحت اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية قاسما مشتركا بارزا لسكان منطقة ما بين الخليج و المحيط، فالتضامن القوي منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بين شعوب العالم العربي لعبت و تلعب فيه لغة الضاد دورا مركزيا[1].

و من ناحية أخرى فإن طرح قضية اللغة اليوم في مجتمعات الوطن العربي يندرج معرفيا/ ابستيمولوجيا في صلب علم الاجتماع الثقافي كون أن اللغة هي أم الرموز البشرية ( الثقافة) جميعا، و على مستوى آخر فاللغة مادة اجتماعية، بمعنى أنها تخطو و تنمو و تتراجع و تتخلف و تندثر وفقا للتعامل الايجابي و السلبي الذي تلقاه من مجتمعها، فمن ناحية تصبح اللغة كائنا حيا نابضا بالحركة و الفتوة و التطور إذا ما شرفها أهلها بالاستعمال الكامل لها في كل قطاعات المجتمع و من ناحية أخرى تفقد اللغة حياتها العادية و تتقلص حركتها فتتخلف و يزداد الشعور بغربتها بين أهلها إذا همش استعمالها في مجتمعها.

ومن ثم، فاللغة هي كائن اجتماعي بالطبع[2]، أي أن تقدمها و تأخرها يرتبطان في المقام الأول بمدى استعمالها في المجتمع، فهذا الطرح السوسيولوجي للغة ككائن اجتماعي حي لا يقبل مطلقا الأقاويل التي تدعي بأن هناك لغات متقدمة بالطبع و أخرى متأخرة بالطبع، فهذه مزاعم جاهلة بالطبيعة الاجتماعية للغات، فهي إذا باطلة من الأساس لأنها لا تستند على علم و معرفة بطبيعة الأشياء، و إنما هي متأثرة في تلك الأقاويل بقصور في النظر و فقدان لروح الموضوعية و السقوط في فخ الرؤى الامبريالية و الاستعمارية و العنصرية في مسألة اللغات و الثقافات في عالم اليوم[3].

و مما لا شك فيه أن تصورنا السوسيولوجي للغة ينطبق على تجربة اللغة العربية في الماضي و الحاضر، أي أن مسيرة هذه اللغة إيجابا و سلبا تأثرت و



المنارة للاستشارات

تتأثر بنوعية محيطها الاجتماعي، ففي مرحلة ماضية كانت لغة الضاد هي لغة الاستعمال في كل القطاعات في المجتمعات العربية الإسلامية في عصر أوج نهضة الحضارة العربية الإسلامية، و بحكم الطبيعة الاجتماعية للغة فقد تقدمت حتما اللغة العربية و ثقافاتها بحيث أصبحتا ذاتي اهتمام عالمي في الشرق و الغرب خاصة في المجالات المعرفية و العلمية.

و في المرحلة المعاصرة نشاهد أيضا تأثر اللغة العربية كمادة اجتماعية بمحيطها الاجتماعي في تطورها و في تراجعها، فلا يخفى في العصر الحديث أن قدرة اللغة العربية على الاستعمال في العلوم و المعارف المعاصرة قد وقع اكتسابها من مبادرة و قرار إعطاء لغة الضاد الفرصة لذلك في بعض المجتمعات العربية، بينما حرمت اللغة العربية من تلك الفرصة الاجتماعية في بعض المجتمعات العربية الأخرى، فسوريا و العراق معروفتان بنجاحهما في تعريب العلوم و المعارف الحديثة الأمر الذي مكن اللغة العربية من القدرة العالية على تدريس الطب و التخصصات العلمية الأخرى الدقيقة، و يؤكد هذا مصداقية مقولتنا بأن اللغة كائن اجتماعي حي ينمو و ينضج و يتقدم إن لم يحرم مطلقا من التفاعل الكامل مع كل أوجه حياة مجتمعه[4].

و في المقابل فشلت مجتمعات عربية أخرى في إعطاء الفرصة الاجتماعية للغة العربية في تدريس العلوم ابتداء حتى من مستوى التعليم الثانوي، و هكذا فرض الإقصاء ومن ثم التأخر على لغة الضاد في ميادين العلوم و المعارف الحديثة الدقيقة في مجتمعات كالمجتمع الجزائري.

فالدرس واضح للعيان لكل ذي بصيرة من هذه الملاحظات الأساسية لعلم الاجتماع الثقافي أن تقدم اللغة العربية و امتلاكها بناصية العلوم و المعارف الحديثة و آخر صيحات التكنولوجيات و تقنيات الحواسيب و الانترنت هي أمور ممكنة للغاية إذا نظرت مجتمعات الوطن العربي إلى لغتها العربية ككائن اجتماعي تنمو قدراته و تتطور و تتقدم و تبلغ أوج نضجها انطلاقا من استعمالها الكامل في كل مجالات حياة تلك المجتمعات و خصوصا ميادين العلم و المعرفة و التقنية و المعلوماتية الحديثة، و بعبارة أخرى فتأخر اللغة العربية في تلك الميادين لا يعود حسب رؤية



المنارة للاستشارات

علم الاجتماع الثقافي إلى طبيعة اللغة العربية نفسها، و إنما يرجع الأمر بكل وضوح إلى إقصاء لغة الضاد كثيرا او قليلا من القيام بدورها الكامل كلغة وطنية في تسيير كافة شؤون المجتمعات العربية المعاصرة[5].

إن تطبيع العرب في القرن الحادي و العشرين لعلاقتهم مع اللغة العربية هو السبيل الطبيعي لكي تصبح لغة الضاد لغة العصر و الحداثة، و هذا الطريق واضح المعالم لا لبس فيه بالنسبة لحتمية تقدم اللغة العربية، إذ وجب الاستعمال الكامل و الشامل للغة العربية في كل صغيرة و كبيرة في حياة المجتمعات العربي.

**ثانيا_ ماهية اللغة العربية :**

ذهب بن خلدون إلى تعريف اللغة في مقدمته على أنها: عبارة المتكلم عن مقصوده و تلك العبارة فعل لساني فلابد أن تصير ملكة متكررة في العضو الفاعل لها و هو اللسان، و هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[6]، و يرى الثعالبي أن اللغة العربية هي خير اللغات و الألسنة، و الإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم و مفتاح التفقه في الدين و سبب إصلاح المعاش و المعاد، ثم هي لإحراز الفضائل و الاحتواء على المروءة و سائر المناقب كالينبوع للماء[7].

إن للغة العربية خصائصها التي تميزت بها عن باقي اللغات بل جعلتها من اللغات المتميزة، حيث أنها لغة القرآن الكريم إلى جانب أنها لغة المجاز و الإعجاز و الترادف و الإعراب إلى جانب أنها لغة غنية بألفاظها، مما جعلها تستوعب الألفاظ الدخيلة غير العربية و المصطلحات العلمية المعربة كل ذلك جعل العربية في المرتبة العليا من اللغات، و مهارات اللغة العربية أربع ( الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة )

و المهارة اللغوية هي مجموعة من الاداءات التي يقوم بها الطلبة في أثناء الكتابة لتكون كتاباتهم صحيحة و دقيقة و مترابطة، و المهارات في التعليم هامة لكل من المعلم و المتعلم فإتقان المعلم لمهارات مادته و تمكنه من التركيز عليها من المقومات الخاصة في أداء عمله و تقدير كفاءته، و قدرة التلميذ على إدراك مهارات



المنارة للاستشارات

المواد المختلفة التي يدرسها تزوده بحصيلة علمية و خبرة و تؤكد قدرته على استيعاب و أداء هذه المواد و تساعده على التفاعل بسهولة في مواقف الحياة [8].

**1) مهارة الاستماع:**

مهارة الاستماع من المهارات المهمة في العملية التعليمية، و لقد اعتمد القدماء على سماع الروايات المنطوقة في نقل التراث من الماضي إلى الحاضر قبيل اكتشاف الطباعة، و هذا يؤكد أهمية الاستماع فالذي يسمع الحديث جيدا يستطيع التعبير عنه و نقله بدقة، و يمكن تعريف الاستماع على انه عملية عقلية تتطلب جهدا يبذله المستمع في متابعة المتكلم و فهم ما يقوله و اختزان أفكاره و استرجاعها إذا لزم الأمر و القدرة على الربط بين الأفكار المتعددة [9].

**2) مهارة المحادثة :**

و يقصد بالمحادثة القدرة على التعبير الشفوي عن المشاعر الإنسانية و المواقف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية بطريقة وظيفية أو إبداعية مع سلامة النطق و حسن الإلقاء، و التحدث يقتضي من المتكلم تعبيرا لفظيا عما يريد من رغبات و ما يحس به من حاجات و ما يدور بخلده من أفكار، و الإنسان في حياته و في أي مرحلة من مراحل العمر لديه الميل و الرغبة في أن يتحدث و يعبر عما يفكر فيه و بأحاديثه يستطيع إقناع سامعه و السيطرة عليه و كسب تأييده و ثقته، و المحادثة تعبر على جانب كبير من الأهمية لأنها بمثابة التهيئة النفسية للتلميذ و الطالب في الجو الدراسي و التعايش مع المدرسة و المنهج و زملائه.[10]

**3) مهارة القراءة:**

القراءة هي عملية تحويل الرموز إلى أصوات مهموسة أو مسموعة و هذه الأصوات هي الكلمات لتي تحمل دلالات معينة، و كلما استوعب الفرد حصيلة معينة من هذه الكلمات ذات الدلالات كلما اتسع أفقه و فهم ما يدور حوله، فهي النافذة المفتوحة على المحيط المحلي للفرد و العالم الخارجي و هي وسيلة لاكتساب المعارف و الخبرات المتنوعة، فإذا كانت الحياة تساعد الفرد على النمو و التعامل مع الغير فإن القراءة توسع مداركه و ذالك بنقله إلى آفاق واسعة.[11]



المنارة للاستشارات

**4) مهارة الكتابة :**

الكتابة هي أداة من أدوات التعبير و ترجمة الأفكار التي تعمل في عقل الإنسان و يقال لها فن رسم الحروف او علم رسم الحروف، و تعرف الكتابة بأنها عملية إعادة ترميز اللغة المنطوقة في شكل خطي على الورق من خلال أشكال ترتبط بعضها ببعض وفق نظام معروف اتفق عليه أصحاب اللغة في وقت ما، و ذلك بغرض نقل أفكار الكاتب و آرائه و مشاعره إلى الآخرين، وهي فن تسجيل أفكار المرء و أصواته المنطوقة في رموز مكتوبة[12] و من هنا يتضح :

_ الكتابة عبارة عن نظام له قواعده

_ الكتابة وسيلة للاتصال و التواصل

_ أداة من أدوات التعبير عن الأفكار و المشاعر و الأحاسيس

وسيلة من وسائل الفهم و الإفهام

و اللغة العربية الفصحى هي الأصل و الركن الأساسي في المجتمع العربي قبل اخذ العامية لمكانتها، فاللغة العربية الفصحى هي أدق اللغات تصويرا لما يقع تحت الحس و أوسع تعبيرا عما يجول في النفس و قد نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا و أشد بيانا و بفضله صارت أهم اللغات بين سائر لغات البشر، و يمكن الحديث عن أهمية اللغة العربية في النقاط التالية:

_ أنها لغة القرآن الكريم.

_ أنها من أهم الوسائل للحفاظ على التراث العربي الإسلامي و نقله من جيل لأخر.

_ أنها من أهم وسائل و أدوات الربط بين أبناء الوطن العربي و الإسلامي.

_ تصنف على أنها إحدى اللغات الست المصنفة عالميا .

_ لا يمكن فهم معاني القرآن الكريم إلا من خلالها .

**ثالثا_ اللغة العربية هوية الجزائريين:**

جاء في معجم لاروس الفرنسي أن اللغة هي عبارة عن نظام مدلولات شفاهية خاصة بكل مجموعة من الأشخاص تستعملها للتعبير او الاتصال بعضها ببعض[13]. لذالك فهي ظاهرة اجتماعية حيث تكتسب أهمية كبيرة بالنظر إلى طبيعة



المنارة للاستشارات

الوظائف التي تؤديها في سياقها الاجتماعي و السياسي و الثقافي، و قد علقت كريستين فريشات Christine Fréchette قائلة إن اللغة حاملة لهوية، قيم و تاريخ و معنى، إنها تحقق التلاحم الاجتماعي و تدعم تنامي الإحساس بروح الانتماء إلى المجموعة [14].

و لكونها ظاهرة اجتماعية جعلها ذلك تتميز بثلاث خصائص مهمة و هي:

_ تمثيلها في نظم يشترك في إتباعها المجتمع و يتخذها الأفراد أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية و تنسيق العلاقات التي تربطهم .

_ إنها نتاج العقل الجمعي .

_ لا يمكن للفرد أن يخرج عنها او عن نظامها و إلا واجه عقاب المجتمع و ازدراءه

و مما لاشك فيه أن هذه الخصائص تتميز بها اللغة العربية لغة العرب و لغة الجزائريين و تستمد هذه اللغة وصفها و تسميتها من الناطقين بها أي العرب كما أن مكانتها لديهم طيبة كونها لغة القرآن الكريم فقال تعالى: ( و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[15] كما أنها اللغة التي بلغ بها الرسول الكريم رسالته و قد لخص بن خلدون ذلك بقوله: و الدين إنما يستفاد من الشريعة و هي بلسان العرب بما أن النبي عربي[16]

و تحدث بن خلدون و قال أيضا: اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة او الجيل الغالبين عليها، او المختطين لها و لذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق و المغرب لهذا العهد عربية[17] .

و لان المستعمر الفرنسي علم أن اللغة العربية هي ركيزة أساسية و احد مقومات الشعب الجزائري التي توحده، قاد تحالفا رهيبا مع المؤسسات العسكرية و الفكرية و الدينية لبناء إستراتيجية قائمة على تحقير ركائز اللغة العربية كلها لكي تصبح هذه الأخيرة عقدة نقص لدى الجزائريين و لكي يطرح البديل لها في الأخير أي اللغة الفرنسية.



المنارة للاستشارات

فقد كان المستعمر الفرنسي يسمي الجزائري ( العدو العربي ) في حين شبهه الشاعر جيراردي نرفال Gérard de Nerval بالكلب الذي يعض عندما نرجع إلى الخلف و الذي يلعق اليد التي ترتفع عليه[18] .

أما جان لوي دي لانيسان J.L.de Lanessan فيرى أن العربي بدائي غير قابل للتطور حيث يصفه بقوله : منذ زمن موسى كان شديد السخف عنيفا صديق للقتال و الحرب و لا يزال كذلك إلى حد الآن بدليل لباسه مسكنه و آدابه[19].

بالإضافة إلى محاولة تدمير هذه اللغة بشكل مباشر من خلال حرمان الشعب الجزائري و أبناؤه من التعليم و تدمير اغلب المؤسسات التعليمية و من بينها الزوايا ومنها كان بن خلدون عندما كتب مقدمته في مدينة تيهرت الجزائرية يتحصل على مئات المراجع في الآداب و القانون و العلوم أما معهد قسنطينة الذي يقابل ما يعرف حاليا بالجامعة فقد كان يضم 3000 مخطوط تم جلبها من الاندلس، لذلك ليس غريبا أن يكتب بيليسييه دي رينو Pélissier de Raynaud احد مسئولي الإدارة الفرنسية : أن التعليم الابتدائي كان على اقل تقدير منتشر لديهم _ أي عن الجزائريين_ بالقدر نفسه الذي كان عليه لدينا، هناك مدارس للكتابة و القراءة في معظم المدن و القرى[20] .

و إلى جانب الزوايا كانت المساجد هي الأخرى مراكز تعليم بخاصة أن عددها كان كبيرا ففي مدين قسنطينة ذات 30 ألف ساكن آنذاك كانت تضم 75 مسجد و 13 زاوية و الجزائر العاصمة كان فيها 176 مسجد ...فهذه الزوايا و المساجد التي كانت تقدم مستويات لا تختلف عن المستويات الجامعية في أوروبا آنذاك جرى تحويلها من قبل المستعمر الفرنسي إلى إسطبلات و مساكن للمعمرين و صيدليات عسكرية، و أما ما تبقى منها فحرم من الهبات الدينية كمصدر تمويله[21].

بالإضافة إلى محاولات طمس الهوية الجزائرية العربية من الأطفال جيل المستقبل حيث رأى المنظر الاستعماري جورج هاردي Georges Hardy بقوله: لتحويل الشعوب البدائية في مستعمراتنا لتصير أكثر إخلاصا لقضيتنا و فائدة لمؤسساتنا...فإن اضمن وسيلة لكل ذلك هي اخذ ابن البلد منذ طفولته بحيث يواظب



المنارة للاستشارات

على مخالطتنا و يتقمص عاداتنا الثقافية و الأخلاقية خلال سنوات متتالية و باختصار شديد علينا أن نفتح له المدارس التي يشكل فيها عقله بحسب إرادتنا، هذا العقل يكون بطبيعة الحال باللغة الفرنسية[22]. فهذا دليل و إدراك لأهمية التنشئة الاجتماعية منذ الصغر .

**رابعا_ ضغط العولمة على اللغة العربية:**

بعد العولمة الاقتصادية ازدادت رغبة القوة العظمى في العالم في تصدير نموذجها الثقافي إلى أرجاء المعمورة كلها، ومن ثم عرفت اللغة العربية في الجزائر مصدري ضغط إضافيين: الأول آت من الأمركة بحد ذاتها و الثاني من فرنسا مستعمر الأمس .

مع نهاية الحرب الباردة، ومع زوال الإيديولوجية الشيوعية المنافسة و الانفتاح الاقتصادي الذي فرضته العولمة، ازدادت أكثر من أي وقت مضى الرغبة الأمريكية في تصدير النموذج الأمريكي الذي تعد اللغة الانجليزية الوعاء الحامل له، و حسب بعض التفسيرات لكون أن اللغة الانجليزية هي لغة محايدة إيديولوجيا و ثقافيا انتشرت في الكثير من الدول، و كذا بفضل التعاون الدولي و المساعدات المقدمة في مجال تدريس الانجليزية من قبل كل من الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و بفضل كذلك المنشورات الأمريكية و قوة الترسانة الإعلامية التي عززتها تكنولوجيا الإعلام و الاتصال و العولمة التي فتحت الحدود كلها لكل أنواع الثقافات، و ذلك ما نلمسه بوضوح في قول ديفيد روثكوبف David Rothkoph احد الموظفين السامين في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون : انه لمن مصلحة الولايات المتحدة اقتصاديا و سياسيا أن تسهر على انه إذا تبنى العالم لغة واحدة فلتكن الانجليزية، و انه إذا توجه نحو معايير واحدة في مجال الاتصال، الأمن و النوعية، فلتكن تلك المعايير أمريكية و إذا كانت أجزاء العالم المختلفة مرتبطة من خلال التلفزة، المذياع و الموسيقى فإن البرامج يجب أن تكون أمريكية، و إذا تهيأت قيم موحدة فلتكن قيما يجد فيها الأمريكيون أنفسهم[23]



المنارة للاستشارات

كل ذلك يؤكد أن برنار كاسان Bernard Cassen كان على حق عندما قال : أن الهيمنة الامبريالية الأمريكية لا ترتكز فقط على العوامل المادية مثل الاقتصاد و القوة العسكرية... ( إنها تتضمن أيضا و على وجه الخصوص التحكم بالعقول أي بالمرجعيات و الرموز الثقافية، و لاسيما العلامات اللغوية، اللغة الانجليزية موجودة في مركز نظام شامل، تؤدي فيه دورا مماثلا لدور الدولار في النظام النقدي الدولي...)[24] .

و لذلك أدت هذه الوضعية المهيمنة للغة الانجليزية إلى ظهور ضغط على الدول العربية و منها الجزائر لإعطاء المزيد من الاهتمام للغات الأجنبية و لذلك سنة 2002 اتخذت الحكومة مجموعة من الإجراءات الهادفة إلى تطوير تعليم اللغات الأجنبية و تدعيمها فبالنسبة إلى اللغة الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية أولى في الجزائر تقرر تدريسها ابتداء من السنة الثانية بدلا من الرابعة على نحو ما كان عليه النظام القديم و هذا بداية من موسم 2005/2004 أما الانجليزية فتقرر تدريسها باعتبارها لغة أجنبية ثانية بدءا من السنة أولى متوسط بدلا من الثامنة كما تم فتح فرع جديد على مستوى التعليم الثانوي يتمثل في قسم اللغات الذي يهدف إلى تدعيم اللغتين المشار إليهما سابقا.

و لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : إذا كانت العولمة بآثارها المشار إليها بدءا بتطور تكنولوجيا الإعلام و الاتصال إلى التكتلات الجهوية، مرورا بالتطور السريع للمعارف تقتضي كل هذا التكثيف في تدريس اللغات الأجنبية ألا تقتضي هذه العوامل ذاتها تدعيم اللغة العربية و ترقيتها حتى تصمد الهوية الجزائرية بلغتها أمام القيم التي ستحملها تلك اللغات بخاصة أن مخلفات الاستعمار لم تتلاشى كليا إلى حد الآن [25].

إن بناء ما هدمه الاستعمار لا يعني مقاطعة للغات الأجنبية لكن لأن الجزائر مرت باستعمار استيطاني دام أكثر من قرن و داس اغلب معالم الهوية الثقافية و لاسيما رمزها الأعلى اللغة العربية فإنه يجب أن يكون للمرء بيت حتى يمكنه استقبال الآخرين فيه فإذا كان هذا البيت تعرض لهدم و تخريب فمن الضروري



المنارة للاستشارات

البدء بإعادة بناءه مرة أخرى[26]، ومن حق الجزائر الشرعي أن تكون لها لغتها الرسمية الوطنية اللغة العربية التي تعتز بها و توحد الشعب الجزائري عامة من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب.

لذلك قامت الجزائر منذ الاستقلال بإقرار أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية كما تم تعريب الإدارة و القضاء و في مجال التعليم نجد انه في الوقت الراهن أصبحت العلوم الإنسانية معربة، كما تم تأسيس مجمع اللغة العربية، و جمعيات وطنية للدفاع عن الموروث و الهوية الوطنية، وهناك مطبوعات باللغة العربية في مختلف التخصصات، و إعلام مكتوب و مرئي و مسموع، و على صعيد آخر الجزائر مطالبة ببذل جهد مزدوج دوليا، فيجب تجريم الإبادة الثقافية في المحافل الدولية و ضرورة إقرار الحق السيادي لكل دولة بالتنوع اللغوي من خلال مواثيق قانونية إلزامية[27].

إن أي دولة بإمكانها تحقيق الرقي و التطور بمجرد العمل الفعلي الجاد و الفعال بعد تعليم دقيق و صادق، فقد نجحت اليابان و الصين و هم لا يستعملان الفرنسية او الانجليزية، و إيران كذلك التي تستخدم اللغة الفارسية و شهدنا عصرا متطورا في العراق خصوصا في مجال التعليم، إن اللغات هي مجرد وسائل للتواصل أما التنمية فتتأتى بالعمل الرشيد .

**خامسا_ اللغة العربية الفصحى في الجزائر:**

نريد الإشارة هنا إلى مكانة اللغة العربية الفصحى و ما تتمتع به من تقدير نفسيا و اجتماعيا أو من تحقير و لا مبالاة، فمكانة اللغة العربية الفصحى عندنا اجتماعيا و شعبيا في الهرم الثلاثي ( العامية، الفصحى، و الفرنسية ) فهي الثانية بعد لغة المستعمر على المستوى العالي سواء عند السياسيين او عند المثقفين او الأكاديميين و هي في المرتبة الثانية كذلك مقارنة بالعامية عند عامة الشعب في حياتنا اليومية.

فنجد بأن الفرنسية لازالت تقترن من جهة في أذهان الناس بالتقدم الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي و العلمي و بالشعور النفسي بالحداثة، فالمتعلمون و أغلبيتهم



المنارة للاستشارات

من ذوي التكوين المزدوج لغة و ثقافة مافتئوا ينظرون إلى اللغة الفرنسية على أنها لغة التطور و الحداثة، و من جهة ثانية فإن صورة الفصحى عندهم هي صورة لغة الدين و الشعر و التقاليد و الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة و هي بعيدة على أن تعتبر بجدية و حماسة لغة يمكن أن تصبح فعلا لغة العصر الحديث، فهناك إذا انهزام نفساني خاصة عند المثقفين ذوو التعليم الفرنسي و الانجليزي[28] .

و بعبارة أخرى فهناك فقدان كبير في المجتمع الجزائري لما نسيمه (التعريب النفسي)[29] فضعف التعريب النفسي يقصد به أن اللغة العربية _ اللغة الوطنية_ بالمجتمع الجزائري لا تحتل نفسيا و عفويا المكانة الأولى في قلوب و عقول واستعمالات معظم الجزائريين و المتعلمين على وجه الخصوص، فمن منظور نفسي اجتماعي يمكن القول بأنه لا يوجد اليوم موقف نفسي جماعي عام لدى الجزائريين لا يسمح لهم بتطبيع علاقاتهم مع لغة دستورهم الذي يؤكد أن اللغة العربية هي لغة البلاد المستقلة، و يقصد بالتطبيع هنا أن تصبح العلاقة بين الجزائريين و اللغة العربية من نوع العلاقة العضوية التي تربط عادة بين المجتمعات و لغاتها الوطنية و ذلك باستعمال هذه اللغة في كل القطاعات من ناحية و الشعور بالاعتزاز الكامل و الثقة بهذا الجزء من التراث الذي يكون لنا في الأخير الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، و لكن يجب الإشارة و كما قلنا سابقا بأن اللغة مهما كانت تعيش و تتطور بالعمل لا غير.

فما يلاحظ أن اللغة العربية لا زالت بعيدة جدا على أن تنافس الصورة الايجابية التي تتمتع بها اللغة الفرنسية و لعل أحسن مثال على الصورة الايجابية للغة الفرنسية في المغرب العربي عموما بعد الاستقلال هي ظاهرة _ الفرانكو أراب الانثوية_ فالمرأة العربية الجزائرية المتعلمة تميل إلى خلط عاميتها العربية بكلمات و عبارات فرنسية أكثر من الرجل و ذلك لأن استعمال الفرنسية كلغة الحداثة و العصرنة أصبح أداة رمزية بواسطتها تحاول المرأة الجزائرية المتعلمة أن تعايش و لو خياليا ملامح روح الحداثة التي تحرمها منها مجموعة التقاليد الاجتماعية[30] بالإضافة إلى ظاهرة خروجها للعمل بقوة و مزاحمتها للرجل أينما حل و حيثما وجد.



المنارة للاستشارات

و من ملامح بسط اللغة الفرنسية لسلطتها اجتماعيا و نفسيا خصوصا على النخب المثقفة، أن عدد هاما من المثقفين لا يزالون يكتبون باللغة الفرنسية في الغالب رغم إلمام بعضهم بالعربية الفصحى، و رغم الوصول إلى حد لأبأس به إلى تعريب العلوم الاجتماعية باللسان العربي الفصيح و يبدو بأنه سينعدم مستقبلا في التخصصات العلمية البحتة كالعلوم الطبيعية و الطبية...و حسب علماء الاجتماع فإن الوعي بالشيء هو الخطوة الأولى لإحداث التغيير، فيجب الإشارة و التأكيد على خطورة هذا الوضع الراهن الذي تعيشه اللغة العربية و كيف يتعايش الناس معها فالبعض يقصيها بالكامل و البعض يمزجها بلغتين او ثلاث، فهذه حالة مرضية يعيشها المجتمع الجزائري و المجتمعات العربية اجمع فيجب التوقف هنا و إعادة النظر في الأمر و تحديد المشكلة و بدقة من اجل علاجها و إعادة الاعتبار إلى لغة البلاد.

و عموما فالحديث عن حاضر اللغة العربية يدمي القلب، من منظور تشخيص واقع اللغة العربية التي اضحت عالة اقتصاديا على اللغات التي لا ماضي لها و لا تاريخ، و هي لغات حديثة و هجينة تكونت في عصر السرعة و نالت المكانة العلمية التي أهلتها لذلك بفضل الفكر العلمي و الرياضي الذي سيطر على نخبها و على مفكريها و بالتطبيقات التقنية التي مست منظومتها الفكرية و إذا عدنا إلى ماضي اللغة العربية نجده غنيا و منتجا و كان له الخطوة في كل إبداع و هذا لا يعني العيش في كنف( كان أبي) بل إن العودة إليه لاستكمال بناء عله يكون المهتدى للتفعيل في عصرنا كما فعل السابقون كما أن التاريخ عامة كان سجلا لجملة المعارف التي يقصد بها الكشف عن الجيد منها و تحسينه، و عن الرديء لاجتنابه و كان التاريخ العربي الإسلامي حافلا بالإبداع و هذا الماضي كان يرتكز على عبقرية اللغة العربية في لسانها و تطبيقاتها التي استوعبت أدق العلوم التقنية و الدليل ما أنتجه ابن الهيثم و ابن حيان و ابن سينا و الرازي و الشهادة الدامغة حول ذلك العصر يؤخذ من علماء غير عرب فهذه العالمة زيغريد هونكة في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) تقر بعظمة العلوم العربية و تأثيرها على الغرب[31]



المنارة للاستشارات

**خاتمة:**

نحن اليوم بحاجة إلى إبراز الدور الجديد لهذه اللغة في هذا الوقت و كيفية تفعيلها داخل و خارج أوطانها لأن اللغة العصرية و الحية هي تلك التي تتعدى حدودها لتنال وضعا جيدا في الخارج، و تبقى العربية بلا مصداقية إذا استمر تراجع توظيف الحرف العربي في الحديث و الكتابة، و تبقى بلا مصداقية دون العمل على نشرها خارج حدودها و من اجل ذالك وجب تفعيل الوسائط التالية:

_ تفعيل دور المثاقفة: فيجب الوقوف على قدم المساواة و على قاعدة المشاركة في صنع الثقافة و الحضارة الإنسانيتين و كذالك بلغة أهل القوم دون غيرها و في هذه النقطة نتحدث عن التعريب الذي يخدم مقوم شخصيتنا و يتطلب أن تكون العربية لغة التفكير و أداة التعبير في مجالات الحياة .

_ تفعيل الترجمة: سئل طه حسين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة : كيف تحصل الترقية اللغوية للغة العربي؟ فأجاب: ترجمو ترجمو ثم ترجمو، و قال قبله بوشكين: المترجمون خيول بريد التنوير.

_ تفعيل البحث اللغوي: فهو يشكل ثقافة الأمة العلمية و يرمز إلى نشاطها الفكري و الذي لا يقوم التقدم و الرقي دونه بل هو سبيلنا إلى المشاركة في إثراء العلوم و الانتقال من المستهلك إلى المنتج الفاعل.

_تفعيل توظيف التقنيات العصرية: من خلال الإقبال على استخدام التقنيات الحديثة و المخابر اللغوية و برامج المعلوماتية الحديثة في الترجمة و تخزين و تصنيف القواعد .

_ تفعيل لغة الإعلام : فضعف الأداء في الإعلام جعلنا نؤكد على هذا الجانب باعتباره من التحديات الكبرى التي تواجهنا حيث لم تعمل هذه المؤسسات على إرساء تقاليد الأداء اللغوي السليم و عدم تعميم الخطابة باللغة العربية السليمة.

**الهوامش:**



المنارة للاستشارات

1 محمود الذوادي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 2010 ص 209

2 نفسه ص 210

3 عبد الكريم غلاب، رهانات الفرنكفونية في علاقتها بمسألة التعريب والهيمنة، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الدار البيضاء، المغرب، 1999ص 35

4 محمود الذوادي، مرجع سابق ص211

5 عبد الواحد وافي علي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (بدون تاريخ) ص_ص 257_260

6عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة بن خلدون، دار العلم، بيروت سنة 1978 ص 404

7 رشاد مصطفى الاسطل، مستوى المهارات القرائية و الكتابية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير قسم المناهج و طرائق التدريس الجامعة الإسلامية غزة، 2010، ص 13

8عبد العليم إبراهيم،الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية،دار المعارف،القاهرة 1983 ص 12

9 فيصل حسين العلي، المرشد الفني لتدريس اللغة العربية، مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان الاردن 1998 ص 126

10 فيصل حسين العلي، المرشد الفني لتدريس اللغة العربية مرجع سابق ص 138

11 زكرياء إسماعيل، طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999 ص 166

12 طه علي حسين الدليمي، الطرائق العلمية في تدريس اللغة العربية، دار الشروق، عمان الأردن، 2003 ص 120

13 Larousse 2008, (paris: éditions Larousse,2007) p 277



المنارة للاستشارات

14 Christine Fréchette, protéger la langue a l'ére de la mondialisation, conseil supérieur de la langue française , mars 2007 p 220

15 القرآن الكريم، سورة الشعراء الآية 192_195

16 ابو زيد عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار العلم، بيروت 1978 ص 379

17 ابن خلدون، نفسه ص 379

18 Chems eddine Chitour, L'Occident à la conquête du monde : une extermination sans repentance ( Alger ENAG éditions 2009, p93

19 Olivier le Cour Grandmaison, Coloniser, exterminer: sur la guerre et l'état colonial ( Alger casbah Edition 2005, p 31

20 مجموعة من المؤلفين، اللغة و الهوية في الوطن العربي، المركز العربي للابحاث و دراسة السياسات ، الدوحة قطر، 2013 ص 124

21 نفسه ص 124

22 Ahmed Taleb Ibrahimi, de la décolonisation à la révolution culturelle ( 1962_1972) 3éme éd, Alger, SNED, 1981, p _p 12_13

23 Herbert Schiller, vers un nouveau siècle d'impérialisme américain , le monde diplomatique , no, 533 ( 1998) , p18

24 Bernard Cassen, un monde polyglotte pur échapper à la dictature de l'anglais, le monde diplomatique, no, 610, p 22

25 مجموعة من المؤلفين، اللغة و الهوية في الوطن العربي، مرجع سابق ص130

26 Mohamed Bédjaoui, L'Humanité en quête de paix et de développement, dans : Jean-Pierre Cot, annuaire français de de droit international ( paris: CNRS éd, 2008, p 747

27 مجموعة من المؤلفين، اللغة و الهوية في الوطن العربي، مرجع سابق ص 132

28 عبد الكريم غلاب، رهانات الفرنكفونية، مرجع سابق ص 42

29 محمود الذوادي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي، مرجع سابق ص221



المنارة للاستشارات

30 محمود الذوادي، الفرنكو أرآب الانثوية في البلاد المغاربية، مجلة دراسات عربية، العدد4/3 جانفي/فيفري 1996، ص_ص81_91
31 صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومه للطباعة و النشر، الجزائر 2003 ص 17



المنارة للاستشارات